النسيج الصوتي للمفردة القرآنية ومناسبتها للمعنى

7:09م, 9 جمادى الأول 1438 هـ - 6 فبراير 2017 م

د.محمد بن علي درع

الدراسة الصوتية تعد المفتاح الأول للدخول إلى النص , وبداية الولوج إلى عالمه , وفهمه وإحساس بوعي لما فيه من قيم جمالية , فالصوت هو الوحدة الأساسية للغة التي يتشكل منها النص الأدبي , وعلى هذا " يعد المبحث الصوتي الخطوة الأولى للدارس اللساني ؛ لأن الصوت أصغر وحدة في اللغة. "
والنص القرآني له خصوصية في جوانب إعجازه باعتماده في الدرجة الأولى على الصوت في الأداء والسماع في التلقي , فالكشف عن جماليات البناء الأدبي , والبعد الفني والموسيقى لا يمكن إدراك أثره إلا بسماعه , إذ " أن اللغة المنطوقة هي التي يتمثل فيها انعكاسات الأصوات " ولذا كان اهتمام الدراسة الأسلوبية بالنسيج الصوتي بداية لما له من تأثير فاعل في البناء الأدبي , وإحداث الإيقاع الصوتي , والبلاغة الجمالية الناشئة عنه , وإظهار خفايا النفس في حالاتها المختلفة " فليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي , وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت , بما يخرجه فيه مداً أو غنة أو ليناً أو شدة , وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها. "
وكان للجرس في اللفظة والتركيب أثر كبير في إبراز الآيات القرآنية جماليًا , وقد سرى فيها الجرس الصوتي المتناسق , وأشار إليه علماؤنا ضمن الخصائص الجمالية , ونوهوا بها , أو بكثير منها في دراستهم لبلاغة القرآن وإعجازه , ومن أشهرهم : مصطفى صادق الرافعي , وسيد قطب , ومحمد عبد الله دراز.
ولقد تميزت الدراسات الأدبية الحديثة عامة , والأسلوبية بشكل خاص باهتمامها بالجانب الصوتي وصولاً إلى (المعنى الصوتي) ؛ لما لقيه علم الأصوات من عناية ودراسة في ضوء علم اللغة الحديث , فتهتم الدراسات الأسلوبية بالمستوى الصوتي في شتى مناحي نسيج العمل الأدبي ومكوناته من أصوات وإيقاعات خارجية وداخلية وتنغيم ونبر ؛ لما تحدثه من أثر على المتلقي للنص الأدبي , فإذا سيطر النغم على السامع وجدنا له انفعالاً حزنًا حينًا أو بهجة وحماسة حينًا آخر .
تأمل لفظة (متشاكسون) في قوله تعالى : ((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ)) تجد أنها تعبر عن لغة المخاصمة و العناد و الجدل في أخذ و رَدٍّ لا يستقران ، و قد تعطي معناها الكلمة : (متخاصمون) ، و لكن النظم القرآني لم يستعملها حفاظاً على الدلالة الصوتية التي أعطت معنى النزاع المستمر ، و الجدل القائم ، و قد جُمعت

في هذه الكلمة حروف التفشي و الصفير في الشين و السين تعاقباً ، تتخللهما الكاف من وسط الحلق ، و الواو و النون للمد و الترنم ، و التأثر بالحالة ، فأعطت هذه الحروف مجتمعة نغماً موسيقياً خاصاً حمّلها أكثر من معنى الخصومة و الجدل و النقاش بما أكسبها أزيزاً في الأذن ، يبلغ به السامع أن الخصام ذو خصوصية بلغت درجة الفورة ، و العنف و الفزع من جهة ، كما أحيط السمع بجرس مهموس معين ذي نبرات تؤثر في الحس و الوجدان من جهة أخرى.

والتعبير عن سقوط الغاوين على وجوههم في النار في قوله تعالى : ((فكبكبوا فيها هم والغاوون)) حيث لم يقل : فكبوا ؛ ليشير اللفظ بجرسه الشديد إلى أنهم يكبون كباً عنيفاً غليظاً , إذ الكبكبة تدهور الشيء في هوّة , وهذه الشدة من التقاء صوتي الكاف والباء الانفجاريين فضلاً عن تكرار المقطع الصوتي (كب) الدال على هذا الدفع والتدهور إذ أن زيادة المبنى زيادة في المعنى , كما يدل أيضاً على الحركة المضطربة وهم يُدفعون وكأن بعضهم يدخل في بعض.

ومثله قوله تعالى : ((الآن حصحص الحق)) فإنه يشدنا حرف الصاد بصوته المدّوي إذ كانت الصاد واضحة الصدور من المخرج الصوتي , والحاء حرف مهموس فيه انفتاح وظهور يخرج من الفم بسرعة لتبيان الحق , ولذا كانت لفظة ((حصحص)) واضحة الظهور بانكشاف الأمر علاوة على ما فيها من اعتراف صريح ببراءة يوسف uونزاهته وعفته من فاحشة الزنا , بل أصبحت هذه الفريدة تقال : لمن ملك برهاناً واضحاً وساطعاً على ظهور الحق.

في قوله تعالى : ((تلك إذاً قسمة ضيزى)) صوتان متقاربان في المخرج فصوت الضاد من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس وصوت الزاي ما بين الثنايا وطرف اللسان هما مخرجان متقاربان , لكننا نرى دخول صوت المد الطويل الياء بين الصوتين المتقاربين فقد جاء لتحسين هذه اللفظة وإبعاد شبح التنافر بين أصواتها لأن مخرج الياء من وسط اللسان فجاء وضعه ليقوم بعملية التلاؤم الصوتي في هذه اللفظة الجديدة التي لم تكن مستعملة قبل نزول القرآن الكريم.

وما أروع نظم هذه الآية وسبكها فنجد لفظة { ضيزى } التي تعني ظالمة أو جائرة فقد روعي في وضعها جانبا الشكل والمضمون , فمن الجانب الشكلي ائتلفت هذه اللفظة مع ما يقابلها من فواصل آخر الآيات فانسجمت موسيقيا معها , أما من الجانب المضموني فكانت أكثر انسجاما وائتلافا مع ما يجاورها دلاليا , فالقسمة غريبة بين المشركين وبين الله تعالى بأن جعلوا لله البنات ولهم البنين , ولفظة ضيزى نفسها غريبة في تأليفها فكان هذا الانسجام الدلالي واضحاً .

ونجد أن انتقاء لفظة { أغطش } بجرسها ومعناها في قوله تعالى : ((وأغطش ليلها وأخرج ضحاها)) جاءت لتعبر عن شدة ظلام الليل , فشدة الجرس مبعثها من صوت الطاء الشديد الذي توسط صوتين رخويين هما الغين والشين.

والصرصر في قوله تعالى : ((بريح صرصر عاتية)) الريح الشديدة يكون لها صوت كالصرير على صيغة فعلل , فهنا تكرار لصوت الصاد والراء , وفي الصاد صفير وفي الراء تكرار انفجاري , وذلك يوحي بقوة الريح وضراوتها , ومنح المفردة بعداً دلالياً مستمداً من بعدها الصوتي الذي يوحي باصطكاك الأسنان نتيجة البرد الشديد.

ويكاد حرف الصاد ذي الجرس الشديد في قوله تعالى : ((فإذا جاءت الصاخة)) يخرق صماخ الأذن وهو يشق الهواء شقاً حتى يصل إلى الأذن صاخباً ملجلجا وهو يمهد بهذا الجرس العنيف للمشهد الآتي وهو مشهد الفرار من الأخ والأم والأب والصاحبة والأبناء.

وفي قوله تعالى : ((ولا أقول للذين تزدري أعينكم)) الأصل { تزتري } على وزن نفتعل إلا أنه اجتمعت الزاي مع تاء الافتعال , والتاء مهموسة والزاي مجهورة فأبدل من التاء دالاً لقرب مخرجها ولتجانس الزاي في الجهر فقالوا : تزدري , ومعناها : تعيب وتحتقر وتنتقص , وحروف المفردة تحكي بوضوح شديد معنى ازدراء الكافرين للمؤمنين , فالراء المكسورة الممدودة تبين هذا وتوضحه.

ومثله قوله تعالى : ((وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون)) فالمفردة القرآنية تدخرون بجرس حروفها من الشدة في الدال المجهورة المنقلبة عن تاء الافتعال والخاء الحلقية المكسورة وما فيها من استعلاء وتفخيم ثم الراء المجهورة وما فيها من تكرار كل ذلك يعكس بوضوح تمسكهم وحرصهم على الادخار

وتذوق روعة النظم في قوله تعالى : ((فترى القوم فيها صرعى)) تجد أن حرف الصاد في { صرعى } يحكي بصفيره صوت الريح العاتية التي هبت على هؤلاء القوم بعد أن اقتلعتهم الريح الشديدة من جذورهم وألقتهم على الأرض مهملين مطروحين لا حول لهم ولا قوة جزاء عنادهم وغيهم وعتوهم , والراء صوت يفيد تكرار الريح واستمرارها , كما ان المد في { صرعى } يحكي طول المدة التي استغرقتها الريح العقيم في صرعهم , وهذا معنى لطيف لا يوجد في { موتى أو قتلى } مما قد يؤدي المعنى إذ لم يهلكوا في معركة أو مشاجرة بل هلكوا بريح صرصر عاتية حاولوا مصارعتها فصرعتهم وطرحتهم كأصول نخل خاوية.

ولو وضعت { قتلى أو موتى } مكانها لفقد هذا الصخب الشديد الذي يبث في روع القارئ أو السامع رهبة العذاب وشدة الانتقام والعذاب الفظيع و لما فهم منهما الطرح على الأرض.

وتأمل قوله تعالى : ((هماز مشّآء بنميم)) تجد أن صوت الشين اللثوي الحنكي الرخو المهموس في لفظ مشآء يصور انتشار النميمة واتساع مداها , مع زيادة قوة تفشي هذه الصفة في الشين ومد الصوت بحركة الفتح الطويلة .

وفي قوله تعالى : ((وجعلنا نومكم سباتا , وجعلنا الليل لباسا , وجعلنا النهار معاشا)) عبر عن الليل بلفظ السبات واللباس وكلاهما يدلان على السكون والهدوء بفضل احتوائهما على صوت السين المهموس الذي يحمل دلالة سكون الليل وهدوءه , بينما عبر عن النهار بلفظ المعاش الدال على الحركة والانتشار بفضل وجود حرف الشين المتفشي الذي يدل على السعي والانتشار.

في قوله تعالى : ((ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا , فيذرها قاعا صفصفا)) فالنسف لفظ ذو جرس يحكي اخص ما يقصد منه وهو الاقتلاع والإزالة السريعة إلى أعلى في يسر وسهولة , وللسين صفير تزداد حدته في المصدر { نسفا} من وقوعه في مقطع مقفول بحيث يصور ما في النسف من حدة وسرعة نحو العلو والهواء الخارج مع مخرج الفاء الهامسة يصور انتشار ذوات الجبال على أن حروف الكلمة في مجموعها ضعيفة بما يشعر بتفاهة ما صارت إليه الجبال الراسيات . على أن تأكيد الفعل بمصدره يؤكد الإزالة والاقتلاع التام { فيذرها قاعا صفصفا} أي ملساء لا حياة , والعطف بالفاء يتجاوب مع السرعة الملحوظة في جرس النسف.

وفي إضافة لفظ الجلالة إلى ضمير المتكلم في { ينسفها ربي } يقوي هذا الإحساس لأنها إضافة اعتزاز واعتداد بقدرة الله تعالى.

ويصور جرس الهمس والميم المكتومة في قوله تعالى : ((وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا)) الهدوء الذاهل والصمت المشوب بالحذر وهذا هو حال الخاشع حين يساق لرب العالمين .

وتجد في قوله تعالى : ((وحفظناهما بنخل)) تتابع مجموعة من أصوات مهموسة رقيقة عذبة تنشر جواً من الراحة والجمال يملأ المحيط بها ؛ أصوات مهموسة الحاء والهاء والناء تخرج من الفم بكل أريحية لتسبل على المنظر جمالاً وروعة , وكأن حفيف الشجر جُمِع صوتاً ومنظراً يجول الخيال عبره.

وما أجمل فك الإدغام في قوله : (وحفظناهما) فالإدغام يعطي ملمحاً من القوة قد لا تكون مناسبة في هذا المقام إذ أدّى فك الإدغام إلى تكرار الحرف المهموس الفاء فزاد من فاعليته وجماله.

وما أحسن تعانق الميمات وتواليها في قوله تعالى : ((وعلى أمم ممّن معك وأمم)) فقد اجتمعت سبع ميمات في أربع كلمات , وقد تزيد عند الإدغام وقلب النون ميماً فينشأ من ذلك عشراً , والحاصل في ذلك كيفية النطق بهذه الميمات وما نجده من ضم شديد في الصوت يصحبه ضم شديد متوال للشفتين عند أداء هذه الميمات المتقاربة الملتصقة , وكأن الآية تعكس ما كان عليه أصحاب نوح u والذين معه من اجتماع والتفاف وانتماء وانضمام لصيق حول عقيدة واحدة ومبدأ واحد

وفي قوله تعالى : ((أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً)) نلاحظ أن الآية الكريمة بدأت واستمرت في الأصوات المرققة في الحديث عن السفينة ووصف أصحابها والتعاطف معهم في أصوات لينة ورقيقة حتى ظهر ذكر الملك الظالم فظهر معه الصوت المفخم (غصبا) فالغين صوت مفخم تفخيماً جزئياً يتبعه الصاد المفخم تفخيماً كلياً يتبعه متبوعاً بصوت انفجاري ليعبر كل هذا عن ذلك الموقف الصعب والظالم.

ونلاحظ في قوله تعالى : ((قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً)) تتابع وتكرار الصوت المهموز الذي هو من أقوى الأصوات الانفجارية وأعمقها فمخرجها من الأوتار الصوتية نفسها , وهي أقرب الأصوات للتعبير وإظهار مدى الانفعال النفسي فارتبط كل هذا التتابع مع حالة الفتى المندهش مما رأى أمامه من حال الحوت الغريبة ؛ ولذا كان منفعلاً وهو ينقل الخبر لموسى u .

وتتتابع الحركة مع الأصوات الانفجارية في قوله تعالى : ((فأتبع سببا)) لتلائم قوة المعنى وحركته ؛ فالصوت الانفجاري فيه ملمح من القوة والحركة فكانت حركات ذي القرنيين بما وهبه الله من قوة – قوية وتظهر فيها السرعة في التحقق والإنجاز وتتكرر العبارة على ثلاث مرات لتظهر تلك الحركة الفاعلة.

وتأمل قوله تعالى : ((ولقد أنذرهم بطشتنا فتمارَوا بالنذُر)) مواضع القلقلة في حرف دال (لقد) وفي الطاء من (بطشتنا) وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى واو (تماروا) مع الفصل بالمد كأنها تثقيل لخفة التتابع في الفتحات إذا هي جرت على اللسان ليكون ثقل الضمة عليه مستخفاً بعد , ولكون هذه الضمة قد أصابت موضعها كما تكون الأحماض في الأطعمة.

ثم ردد نظرك في الراء من (تماروا) فإنها ما جاءت إلا مساندة لراء (النذر) حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه انتهى إليها من مثلها , فلا تجف عليه , ولا تغلظ ولا تنبو فيه , ثم اعجب لهذه الغنة التي سبقت الطاء في نون (أنذرهم) وفي ميمها , وللغنة الأخرى التي سبقت الذال في (النذر. " (

وفي قوله تعالى : ((ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر)) أي منصب بغزارة فكلمة منهمر توحي بانهمار الماء , فجرس الهاء المفتوحة تحمل دفقة هوائية دون عائق مع ما فيها من سلاسة وسهولة تحكي تدفق الماء النازل من السماء وانسيابه ثم صوت الراء المنونة في حالة الوصل الساكنة في حالة الوقف علاوة على ما فيها من تكرار كل ذلك يصور وقع نزول المطر على الأرض بشدة وقوة وتتابع.

وفي قوله تعالى : ((سلام هي)) أي أن ليلة القدر ليلة سلام ودعاء وعبادة وخير وأمن وعافية وحروف الكلمة تتناسب والمعنى فالهمس والرخاوة في صوت السين والانفتاح والاستفال في جميع أصوات الكلمة علاوة على طول حرف المد (الألف) والذي يناسب معنى التسليم والسلامة والاستمرار في الدعاء والعبادة في هذه الليلة والصفير في السين والجانبية في اللام والغنة في الميم والجهر في جميعها يتناسب مع كثرة تسليم الملائكة وعروجهم إلى السماء.

وتأمل قوله : ((وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين)) أي حاذقين بأصول الصنعة , والكلمة بجرسها الصوتي تتناسب وهذا المعنى فالفاء اللينة الناعمة وألف المد وما فيه من استطالة , والراء المفيدة للتكرار ثم الهاء المهموسة وبعدها المد الرخيم ثم الغنة اللذيذة كل ذلك يحكي فراهة تلك الأبنية واستطالتها وحسنها وجمالها وتناغمها مع بعضها.

وفي قوله تعالى : ((فصكّت وجهها)) تأمل صوت الصاد وما فيه من صفير ثم جرس الكاف المجهورة الشديدة التي زادتها الشدة التي فوقها قوة وشدة كل ذلك يصور صوت وقع اليد على الخد بعنف وشدة.

وفي قوله تعالى : ((فلا أقسم بالخنس , الجواري الكنس , والليل إذا عسعس)) فصوت السين لثوي رخو مهموس يدل على السكينة والهدوء.

واقرأ قوله تعالى : ((وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك)) فصوت الغين المجهورة يعكس صوت أزيز الباب عند الإغلاق , وصوت اللام المجهورة المشددة والقاف المجهورة الشديدة يشيران إلى شدة التغليق وإحكامه مرة بعد مرة لأن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى . وتحكي حروف (هيت) الناعمة والهادئة الدعوة إلى الفجور.

وتأمل قوله تعالى : ((واترك البحر رهواً)) فكلمة رهوا فيها هدوء ووداعة وسكون تعكس سكون البحر وهدوءه , فحرف الراء صوت مهموس خافت , وحرف الهاء صوت مهموس رقيق , وحرف الواو المعتل فيه وداعة.

وتأمل قوله تعالى : ((فسخرنا له الريح تجري رخاء)) أي لينة وطيبة , فالضمة على الراء تعني انضمام الشفتين على حرف ليس من حروف اللين , واستدارة الشفتين تتطلب جهداً وفي هذه قوة الريح , ثم ينتقل من الضم إلى الفتح على حرف حلقي ليدعو إلى تصور بدء سهولة , وتكثر السهولة في مد الألف فليس هناك انقباض ولا انكماش بل تدرج من الصعب على السهل مما يمثل طواعية الريح للنبي بأمر الخالق , ولا يكون هذا في كلمة سوى رخاء.

واللفظ القرآني قد يستقل برسم الصورة بجرسه , وجرس اللفظ هو إيقاعه الذي يلقيه في أذن القارئ , وصوته الذي يتلقاه بسمعه , وهذا الإيقاع أو الجرس ينتج من إيقاع كل حرف من حروف اللفظ على حدة , ثم إيقاع الحروف كلها مجتمعة في اللفظ , تأمل قوله تعالى : ((ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم ((تلاحظ أن كلمة (اثاقلتم) بكل ما تكونت به من حروف , ومن صورة ترتيب هذه الحروف ومن حركة التشديد على الحرف اللثوي (الثاء) والمد بعده ثم مجيء القاف الذي هو أحد حروف القلقلة ثم التاء المهموسة والميم التي تنطبق عليها الشفتان

ويخرج صوتها من الأنف قد استقلت برسم صورة شاخصة للمتثاقلين عن الجهاد ؛ إذ يتخيل القارئ جسماً متثاقلاً يرفعه الرافعون في جهد فيسقط من أيديهم لشدة ثقله

وترتسم صورة التبطئة في جرس اللفظة من قوله : ((وإن منكم لمن لّيُبطِئنّ)) فقد تعانق الجرس الصوتي مع سياق الدلالة , وإنك لتشعر بأن اللسان يتعثر أثناء النطق بها.

ونحس أن كلمة { أنلزمكموها } في قوله تعالى : ((فعمّيت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون)) تصور جوّ الإكراه ومعناها المباشر , وتصويرها بجرسها وأدائها جوّ الإكراه هو الباعث على تخيرها على صيغة الفعل المضارع متصلاً بثلاثة ضمائر , وهذا وإن أدى إلى جهد في نطقها , فإن هذا الجهد مطلوب ليستشعر من ينطقها مدى ما يبذل من جهد في الإلزام والإكراه الذي ينكره نبي الله هود – عليه السلام–

وانتشار حرف السين المهموس في قوله تعالى : ((قل أعوذ برب الناس , ملك الناس , إله الناس , من شر الوسواس الخناس , الذي يوسوس في صدور الناس , من الجنة والناس)) يحدث جواً من الوسوسة والهمس الخفي.

وتردد حرف الكاف في قوله تعالى : ((إنهم يكيدون كيدا , وأكيد كيدا)) يشيع جواً من الكيد تحس به النفس من تردد هذا الصوت في هذا السياق , فالكاف حرف مهموس لا تفخيم فيه , وهو بصفته يشعر بالتدبير الخفي , ومن جهة أخرى فإن الكاف صوت يخرج من أقصى الحنك فيحتاج نطقه إلى انغلاق مجرى النفس تماماً لينفجر به الهواء دفعة واحدة , ولهذا عدّه القدماء من جهة المخرج صوتاً شديداً وعده المحدثون انفجاريا , فإذا ترددت الكاف في عدة كلمات متوالية أشعر هذا بالشدة والحدة والإمعان فيما تتناوله من معنى , فالكاف من حيث صفتها ومن حيث مخرجها دلالتان مرتبطتان أشد الارتباط بجو الكيد.

ومثله قوله تعالى : ((تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون)) فتكرار صوت التاء وتتابعه والتاء الشديدة المفتوحة فالفاء الساكنة يعكس كله جواً من التمتمة التي تشعر بالندم والأسف والضيق , وكأنهم يحاولون إقناع أبيهم بحسرتهم عليه وحزنهم من أجله.

ويمكننا التطبيق على سورة فاطر نستكشف من خلاله أثر الصوت في تأدية المعنى المراد منها على أتم وجه:

قال تعالى : { فاطر السموات والأرض } الفطر الفتح , وهو الابتداع والخلق على غير مثال سابق, واستعمل فيها حرف الفاء ؛ لأنه يحمل صفات الانفطار , فمن أهمها انفتاح الفم عند النطق به , والذلاقة وهي سرعة النطق بالحرف , والهمس وهو خفاء الحرف نتيجة جريان النفس , واستعمل حرف الطاء لقوته فكأنه يدل على قوة الأمر في ذلك , وحرف الطاء هو الحرف الوحيد الذي يملك قوة على الحروف لاشتماله على صفات القوة وعدم وجود أي صفة ضعف فيه , وهو حرف مستطيل ممتد في المخرج , والراء من أبرز صفاتها التكرار , والمعنى – والله أعلم – أن هذا الأمر من باب التحدي والإعجاز وأنه فريد من نوعه لا يمكن أن يحدث مرة أخرى ؛ ولذلك كان نزول آيات خلق السموات والأرض في السور المكية أكثر منها في السور المدنية.

وقوله :{ ما يفتح } من فتح خلاف الإغلاق , فجميع حروفها تمتلك صفة الانفتاح إضافة إلى أن حرف الفاء والتاء يخرجان من مقدمة الفم , كما أنهما حرفا همس وهو جريان النفس , فالفتح فيه جريان رحمة الله وخزائنه , وفيه ارتياح نفسي وانبلاج الأسارير.

وقوله :{ وما يمسك } انطباق الشفه عند الميم وخروجها من مقدم الفم دليل على معنى المسك / المنع كذلك من صفات الميم الجهر , والجهر يمنع جريان الصوت , والكاف لها صفة الشدة التي توحي بالمنع بقوة , وانحباس

جريان الصوت عند الكاف دليل على معنى ذلك , والانتقال من الميم إلى الكاف عبوراً بالسين , والسين لها صفة الهمس والرخاوة إيحاء بجرس المنع.

وقوله : { يرزقكم } الرزق العطاء الجاري , واستعملت حروف (ر – ز- ق) لوجود صفات القوة والتكرار والجهر فيها , كذلك ما تحمله الزاي من صفة , فرزق الله مجهور ومكرر على عباده , وهذا لا يتأتي إلا من قوي استحق التفرد والكمال.

وقوله : { السعير } النار المتقدة , ويبرز صوت السين المشدد الصفيري مبيناً مدى انتشار الصوت سواء صوت السعير أم أصوات الكافرين المكتظة ووقع العذاب الشديد والذي شرحه صوت العين الجهوري فكأنهم يعلنون بأصواتهم عن شدة عذابهم في النار , ووجود صوت المد الياء بينهما يعبر عن شدة آلامهم المتكررة التي لا تنقطع كما أفادها صوت الراء.

وقوله :{ كذلك النشور } هي بمعنى الانتشار , بدلالة ذكر : " أرسل " و " فتثير " و " سحاباً" و " فأحيينا " واستعمل فيها حروف { ن – ش – ر } لدلالة صفاتها على ذلك , فالنون من أهم صفاتها الرخاوة وهي جريان الصوت عند النطق بالحرف والشين من أبرز صفاتها التفشي وهو انتشار الصوت والهواء , وكذلك من صفاتها الهمس وهو جريان النفس , والراء من أبرز صفاتها التكرير مما يدل على الاستمرارية , ووقع حرف الشين في وسط الكلمة مما يدل على عمق الانتشار وكذلك يخرج حرف الشين من وسط اللسان فهذا يدل على عمق هذا الحرف وسرعة انتشاره وقوته.

وقوله :{ فتثير } من ثار بمعنى الانتشار , فالثاء حرف فيه همس ورخاوة , والألف يتصاعد الهواء معه , فلما جاورت الثاء ازداد انتشار الهواء في الفم مع تصاعدٍ فيه , والراء من صفاتها التكرار , والثوران يكون فيه تكرار .

وقوله :{ إليه يصعد } من صعد , والأصل يدل على ارتفاع ومشقة , فحرف الصاد حرف مستعلي يرتفع اللسان معه ومع استعلائه يصاحب التفخيم الصوت , والعين حرف مصمت قوي , فناسب ارتفاع الكلم , وكذلك الدال حرف مجهور , فالكلم الطيب يكون مجهوراً.

وقوله : { ومكر أولئك } المكر : الخداع والدهاء والاحتيال فيه خفاء وتلون , فالميم حرف بين الشدة والرخاوة , والكاف حرف يخفى في النفس , والراء حرف يتكرر , فالمكر يكون فيه قوة وليونة وهو مخفي في تدبيره ومبيت بليله , ومكرر من الماكرين.

وقوله :{ ولا ينقص } من نقص خلاف الزيادة , ذلاقة النون – سرعة النطق بها – أنقصها من قوتها وقلقلة القاف جراء انحباس الصوت في المخرج أنقصها ثباتها في المخرج , وكذلك الصاد رخاوتها أنقصتها ثباتها في المخرج , وكذلك المخلوق .

وقوله :{ وما تحمل } اللام حرف يحمل باللسان إلى مخرجه , ولذلك مخرجه أعرض المخارج والميم حرف محمول بين الشفتين حتى يخرج منها , والحاء مهموس ومحمول في النفس , وكذلك حمل المخلوق في بطن أمه.

وقوله :{ ولا تضع } الوضع أعم من الحط , وحيث إن حروف (و – ض – ع) تشترك في أكثر الصفات ومنها الجهر والاستفال والإصمات وهي توحي بالسرعة والقوة والثقل.

وقوله :{ وسخر الشمس } اجتماع صوتي السين والشين المهموسين يوضحان مدي تسخير وتذليل الله أمر الكون لهذا المخلوق من جهة , ومن جهة أخرى فاجتماعهما يؤديان معنى العظمة الكاملة والقوة النادرة لله سبحانه الذي سخر هذا الكون .

وقوله :{ له الملك } من ملك تدل على القوة والمنعة , والميم حرف تنطبق فيه الشفتان , والملك إطباق الحكم على الناس , واللام حرف فيه رخاوة بسيطة , والكاف حرف مهموس وشديد فالملك يدور حول الشدة والقوة والحكمة واللين مع إحكام وضبط.

وقوله :{ يولج الليل } الولوج بمعنى الدخول , فالواو المتحركة تخرج من بين الشفتين وهو باب الفم , وكذلك اللام تخرج من أدنى الحافة قريباً إلى منتهى الطرف للسان فهي قريبة من مخرج الواو , أما الجيم فهو في مخرجه من وسط اللسان من شجر الفم وهو مكان داخل الفم , والمعنى أنه يدخل الليل في النهار ويدخل النهار في الليل ويأخذ من هذا في هذا ومن هذا في هذا.

وقوله :{ كل يجري } الجري المرّ السريع , وحرف الجيم فيه صفة الجهر وهي جري النفس عند النطق بالحرف فهي توحي بالسرعة الشديدة , والراء والياء تشترك في صفات الذلاقة والاستفال والانفتاح وكلها تؤكد السرعة.

وقوله : { وزر أخرى } الوزر الحمل الثقيل , واستعملت حروف (و – ز – ر) – والله أعلم- لوجود صفة الجهر فيها , والجهر صفة قوية وثقيلة.

وقوله :{ ولا ينبئك } النبأ : خبر ذو فائدة يحصل به علم يقين أو غلبة ظن ولا يكون فيه كذب وتشترك حروف (ن – ب – أ) في أنها جهرية ومستفلة , والنون مذلقة وغنة ثقيلة والباء مقلقلة دلت على سرعة الخبر ووضوحه وشدته وثقله أو توسطه , كما أن غنة النون تشجي السامع وتطربه لجمال المعنى .

وقوله :{ إنّ الله عزيز غفور } لفظ الجلالة { الله } الأصل فيه التفخيم , بدلالة صوت اللام , يقول ابن الجزري:

وفخم اللام من اسم الله * عن فتح أو ضم كعبد الله**

وعليه فقد أفاد صوت اللام المحمول باللسان إلى مخرجه عن معنى العظمة والعلو والتفرد والقهر والاستيلاء والكبرياء.

أما لفظ { الرب } فصوت الراء المكرر فيه قوة وتكرار للرعاية والتربية والتصاق الصوت الباء الناتج عن التضعيف به التصاقاً قوياً يبين شدة احتياج المخلوق لخالقه والمربى للمربي سبحانه وتعالى الذي يربينا برعايته ولطفه وكرمه ورحمته

و{ العزيز } من عزّ بمعنى القوي الغالب القاهر , فحرف العين من حروف القوة وكذلك الزاي , ثم إن العين مخرجه من وسط الحلق حيث إنه قريب من منطقة اندفاع الصوت بعد احتكاك الهواء بالأحبال الصوتية , ولا يخفي قوة هذا الاندفاع وأن العزة تتطلب القدرة والمنعة , و{ الغفر } هو الستر والمحو , وخفاء الفاء في النَّفَس دليل على معناها .

وقوله : { لن تبور } البوار الهلاك , وفرط الكساد , ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد عبّر بالبوار عن الهلاك , والباء لها صفة الإذلاق فهي توحي بسرعة الكساد والفساد , وكذلك الراء لها صفة التكرير فهي أيضا توحي بتكرار البوار وفساده وسرعة كساده .

وقوله : { أذهب عنا الحزن } نقيض الفرح , فالحاء حرف مهموس وهو انحباس النفس عند النطق بالحرف , والزاي حرف صفير والنون حرف غنة , وهذا يربط المعنى بأن الحزن لا يكون بإرادة الإنسان ولكن هناك أسباب جعلت النفس مجبرة على الغم والهم.

وقوله : { لا يمسنا فيها نصب ولا لغوب } المس , استعمل فيه حرف الميم لانطباق الشفة عند النطق به , واستعملت السين لخفتها فهي من حروف الهمس , وشددت لقوة التصاقها , والذي يظهر أن النصب كان مسّه مستمراً لدرجة أنه لا ينفك عن المؤمن حتى يدخل الجنة , وكذلك اللغوب.

وقوله : { فلن تجد لسنت الله تبديلا } السنة من سنن , ورسمت هنا مفتوحة في مواضعها الثلاثة ورسمت في غيرها بالهاء { سنة } فكأن المقصود هنا استمرار هذه السنة وهي : ((فهل ينظرون إلا سنت الأولين)) , واستعمل فيها حرف السين لصفيره وهمسه ورخاوته , والنون من حروف الغنة فهي للتأكيد , وخصوصاً أنها وردت بالغنة في الآية , وأما رسم التاء فالذي يظهر – والعلم عند الله – أنها رسمت مفتوحة لانفتاح صفتها فهي حرف مفتوح غير مطبق , وإن كان التعليل في الرسم أنها كتبت على إحدى القراءتين حسب قواعد رسم المصحف الشريف العثماني , ولكن هذا يُظهر أن هذه السنن أو هذه السنة جارية إلى قيام الساعة لا تنفك عنها أمة من الأمم.

وقوله : ((وهم يصطرخون)) من صرخ والصرخة : الصيحة الشديدة عند الفزع والاصطراخ : الصياح والاستغاثة والنداء , وعبر بالاصطراخ دون الصراخ ؛ لأن اصطرخ على وزن افتعل , وفي الافتعال تكلف يدل على جهد أكبر وتعب شديد وشاق من شدة استمرار الصراخ , فالإحساس بالتعب نتيجة استمرار الصراخ تراه في اصطرخ ولا تراه في صرخ , والملاحظ أن اصطرخ أثقل من صرخ , والتعبير بـ((يصطرخون)) دلالة على أن ما يصدر منهم إنما هي أصوات بشعة منكرة ولذا نجد أن حروف الجرس الصوتي قد ساهمت في رسم هذه الصورة , فاستعمال حرف الصاد يوحي بأن الصراخ قد بلغ ذروته , والاضطراب قد تجاوز مداه , وقد وصل اليأس أقصاه , فالصراخ في شدة إطباقه , وتراصف إيقاعه من توالي الصاد والطاء , وتقاطر الراء والخاء والترنم بالواو والنون يمثل لك رنة هذا الاصطراخ المدوي . والصفير صوت زائد إضافة إلى استعمال ومجاورة حرف الطاء وهو أقوى الحروف التي من أبرز صفاته القلقلة والشدة , فالقلقلة اضطراب الحرف في المخرج , والشدة انحباس جريان الصوت , وانغلاق مجرى الهواء واستعمل كذلك حرف الراء لتكراره , وحرف الخاء لرخاوته , فالجرس الصوتي الغليظ للكلمة يحكي ويرسم لنا صورة المستغيث المكظوم وصورة العذاب الشديد الذي يصطرخ فيه الكفار يوم القيامة وديمومة استمرار قولهم : ((ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل. ((

وقوله : { فذوقوا } من ذاق , وهو اختبار الشيء من جهة تطعمٍ , والذال حرف يخرج من طرف اللسان , فاستعمل هنا لمناسبة مخرجه لمقدمة اللسان التي هي للذوق , والألف فيها دلالة على عمق الذوق وطوله , والقاف لتحقق ذلك وقوته , واستعمل الواو لطول ذلك , فحروف المد حروف هوائية تستطيل وتتحرك فيه , وليس لها مخرج معين .

وقوله :{ فمن كفر } الكفر : الستر والتغطية والجحود , واستعملت حروف (ك – ف – ر) لدلالة صفاتها عليها , فالكاف والفاء حرفا همس يجري النفس فيهما وكأنهما يخفيان عند النطق بهما في الهواء الخارج من الفم , وكذلك الكافر يتغطى بكفره ويستتر به , وهما من الحروف الضعيفة لخروج الهواء بكثرة من مخرجيهما وكذلك الكافر يكون ضعيفاً بكفره , وأما الراء فمن صفاته الجهر والإعلان فهو يناسب الكفر من ناحية أن الكفر بالله جهر

بجحود نعمة الله التي من أهمها الدين , كما أن خلت من حروف التفخيم لتتساوق الأصوات المرققة مع حرية الاختيار.

وهاتان صورتان متقابلتان لأهل الجنة المنعمين بنعيمها وأصحاب السعير المعذبين بنارها , وهما في تقابلهما يطبعان أثرين مختلفين في النفس , ولكنهما يلتقيان منها في مكان واحد وينحازان بها إلى موقف فرد.

قال تعالى في بيانهما : ((جنات عدن يدخلونها يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير , وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور , الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب , والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور , وهم يصطرخون ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ((

إن أول ما يلفت أنظارنا تدفق حروف الهمس المتسمة بالليونة والإلحاح (التاء والهاء والحاء والفاء والسين والشين والصاد) والتي تشكل راحة وأمناً وطمأنينة ونعيماً , وكأن المتكلم يريد أن يقرب السامع منه فيهمس في أذنه والمؤمنون من أقرب الخلق إلى الله , نلمسها في قوله : ((جنات عدن يدخلونها يحلون فيها أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير)) وقوله : ((الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن)) وقوله : ((لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب)) وقوله تعالى : ((إن ربنا لغفور شكور)) فهي ألفاظ سهلة في طبيعة أصواتها تلاقت والمعاني المحببة للنفس وتوافقت مع الأصوات المهموسة اللينة الرقيقة ليتناسب كل ذلك مع وصف حال أهل الجنة ونعيمها , وفي تمازج يخلب اللب والسمع لهذا النعيم المادي الملموس والنعيم النفسي المحسوس.

وإلى جانب ذلك فهي أصوات صفيرية فيها ملمح قوة التواصل والتفشي في الشين كقوله : { شكور } إذ يضاعف صوت الشين من الشكر التي يكرم بها الله عباده ويثيبهم على طاعتهم , ونلمح الصوت الانفجاري الهمزة في قوله : { أذهب } المعبر عن الرضى النفسي بالنعيم المقيم , وساهم صوت الذال الرخوي في ذهاب الحزن وجريانه , والهاء الحرف المهموس في جريان النفس والحزن فكأنهم عندما ذهبت أحزانهم تنفسوا وقطع الحزن عنهم وهو ما أفاده صوت الباء المفتوح , وكذلك في قوله : { أحلنا } نلمس صوت الهمزة الانفجاري المعبر عن مدى انبساطهم وحبورهم وسرورهم , وصوت الحاء المهموس الذي رسم سكونهم وهدوءهم وطمأنينتهم , كما يوضح صوت اللام المشدد حملهم ورعايتهم وتثبيتهم في دار الإقامة.

ويأتي صوت النون الجهري إعلاناً منهم عن امتنانهم العظيم لربهم الكريم الذي امتن عليهم بالإقامة الكريمة والأبدية , وصاحب هذا نغم الثناء والشكر الذي أحدثه صوت المد { الألف. {

كما أسهم صوت الصاد المفخم في قوله : { نصب ؤ في إظهار ذلك التعب الشديد في حياتهم الدنيوية والمنفي عن حياتهم الأخروية , إذ لو وضعت { تعب } لما أظهرت تلك الصعوبة والمعاناة في حياتهم الدنيا , وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال : ((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)) , أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وتكرار صوت النون الرنان ذي الصفة المجهورة والذلقة في المشهدين : تأكيد قوي للإقامة السرمدية , وسرعة لتلبية مطالبهم , وخلو قوله تعالى : ((الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن)) من حروف الاستعلاء والتفخيم للإيذان بجو مريح يتسم بالراحة الأبدية والرحمة المتسعة والحنان حقاً الجو كله يسر وراحة ونعيم , والألفاظ مختارة لتتسق بجرسها وإيقاعها مع هذا الجو الحاني الرحيم إن طبيعة الإنذار والتخويف والتهديد والوعيد تحتاج إلى أصوات ذات جرس غليظ وإيقاع عنيف وضوح سمعي لغرض التوصيل ودقة الإسماع , فتكرار الأصوات المجهورة ذات الصفات

القوية { الراء والكاف والذال والعين والواو والنون والميم والياء } وكذلك الأصوات الرخوية ذات الصفة الضعيفة { الراء والزاي والذال والصاد والغين والفاء والهاء } سواء في تكرارهما , أو صحبتهما بحروف المد , والتي تفيد طول العذاب وشدة الآلام } وما تضيفه صفة الإطباق القوية والتي تتمثل في حروف { الصاد والضاد والطاء والظاء } كل هذه الصفات وغيرها كالشدة والقلقلة والاضطراب وما أسهمت به حروف الهمس الضعيفة والتي تبين مدى ضعفهم ونوحهم واعترافهم بالندم ولا سيّما في قولهم : { أخرجنا } وما آثاره حرف الهمزة الانفجاري من انفعال نفسي مما رأوه من هول العذاب وكذا حرف الخاء الضعيف المصحوب بفعل الأمر والمرتبط بحرف الراء الدال على التكرار وما أضافه حرف الجيم المبيّن شدة العذاب المستحق الذي يعانونه ويعاينونه إذ نلمح شدة الحسرة والندم في تضافر أصوات التفخيم { ع – ص – غ } في قوله تعالى : ((نعمل صالحاً غير)) وهم يذلقون بأصوات الذلاقة { الفاء والراء والميم والنون واللام } طلباً للسرعة والخلاص من هذا العذاب تؤازرها حروف المد الثلاثة جميعاً { الألف والواو والياء } المرتبطة بها مستغيثين مآدين ألسنتهم بالدعاء والنداء للخروج من هذا العذاب الشديد.

هذا الجرس الغليظ والإيقاع العنيف أسهم في رسم الصورة القلقة والمضطربة وتبيان حالهم ومآلهم ومعاناتهم , من حيث تكرار العذاب وشدة آلامه واستعلائه عليهم وإطباقه فوقهم , فهم ضعفاء مضطربون يصطرخون في عذاب دائم مستمر لا ينقطع ولا يخفف عنهم , ولا يصغي لاستغاثتهم فلا رجاء في حياة تسعدهم ولا أمل في موت يريحهم , قد انقطعت بهم السبل , وحيل بينهم وبين ما يشتهون.

ومن اللافت للانتباه أصوات المد التي تراعى في تلاوة القرآن ومدة ذلك المد بحسب المكون الصوتي , وأثر ذلك في المعنى ومساهمته في توصيله للسامع , فظاهرة المد في القرآن لا تخلو من أسرار معنوية وتصويرية فنية , ويلاحظ مثل ذلك المد في قوله تعالى : ((وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير)) فقد اجتمعت عدة أصوات فيها حرف المد في المفردات , انظر : { يصطرخون , فيها , ربنا , صالحاً , الذي , ما , فيه , وجاءكم , النذير , فذوقوا , فما , للظالمين , نصير } ثلاثة عشر صوتاً من أصوات المد الواو والألف والياء , والسياق في هذه الآية فيه نداء ودعاء إلى الله ؛ ولذا كانت الحاجة إلى مد الصوت وإطالته لما يقتضيه المعنى والمقام فيتناسب بذلك الصوت مع المعنى والسياق.

كذلك كان في حذف حرف النداء { يا } نكتة أدت إلى الإكثار من حروف المد التي تحملها المنادي بالضغط والمط والتطويل ونلحظ أن الفعل المضارع { يصطرخون } قد صوّر معاني العذاب والاستغاثة , وتمني العودة مرة أخرى للحياة لعمل الصالحات بعد معاينة ما ذاقوه من عذاب .

وأفاد المد في قوله : ((يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد)) طول النداء في قوله تعالى : { يا أيها } وأمد الفقر للمخلوق وشدة افتقارهم إليه في قوله : { الفقراء } وديمومة الغنى والعطاء والجود له سبحانه وتعالى في قوله { الغني } ووجوب حمده على غناه بألسنتهم.

وتأمل صوت المد الياء في قوله : " نكير " قد أسهم في رسم نوعية الأخذ وشدته إذ لا مجال للتوبة بعده.

وفي قوله : ((ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً)) أفاد صوت المد في { السماء – ماء } امتداد المسافة فالرزق بين السماء والأرض , وإنزال الماء من السماء مدرك عسير على الكافرين إذ لا يستطيعون إنزاله من السماء . ووجود لفظ الجلالة { الله } لتأكيد الألوهية فهو المتفرد بإنزال الماء من السماء .

ويشكل تعاقب الحركات وتتابعها في المفردات وتوافقها مع مفردات أخرى ملمحاً بلاغياً جمالياً مثيراً ويظهر ذلك في قوله : ((والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها)) فقوله تعالى : ((لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها)) سبق بقوله تعالى : ((والذين كفروا لهم نار جهنم)) وهذا مدرك صعب على الكافرين.

وتزيد اللاحقة الصوتية في طول الكلمة مما ينشأ عن ذلك النبر الثانوي كما في قوله تعالى : ((ما يتذكر فيه من تذكر)) لتخلق نبراً يشكل جرساً لافتاً يظهر أثرها لو أعدنا نطق المفردة دون تلك اللاحقة (يذكر) فلا يخفى أثر تلك الزيادة , ومثلها قوله تعالى : ((ليكوننّ)) فاللاحقة الصوتية النون المشددة أفادت نغماً موسيقياً رائعاً .

وفي قوله : ((اصطفينا)) إبدال لغوي في الافتعال , واصطفى : افتعل من الصفوة أي تخيّر الأصفى , وأبدلت التاء طاء لتناسبها مع الصاد في الإطباق , والسبب في هذا الإبدال أن الصاد مستعلية مطبقة رخوة , والتاء مستفلة منفتحة شديدة , فتجافت بذلك أصوات المفردة مما أحوجهم إلى التقريب بينها بالبحث عن أقرب الحروف إلى الصاد تتسم بالإطباق , فوجدوا طِلبتهم في الطاء التي تخرج من مخرج التاء , وتؤاخي الصاد في الاستعلاء والإطباق فقلبت التاء إليها طلباً للتجانس الصوتي , وهذا النوع من التقريب الصوتي يطلق عليه عند المحدثين { المماثلة } التي تهدف إلى الاقتصاد من الجهد العضلي , وإذا أثّر الصوت السابق على اللاحق سمّي بالتأثر التقدمي فأثرت الصاد بإطباقها واستعلائها

في التاء فحولتها صوتاً مستعلياً مطبقاً فصارت { اصطفينا }, ومثلها يصطرخون.

وأحدث إدغام التاء في الزاي خفة لقرب المخرجين نقرأها في قوله تعالى : ((ومن تزكّى فإنما يتزكى لنفسه)) إذ الأصل { تتزكى. {

والتنغيم ظاهرة صوتية له أثره في نقل المعنى في الجملة من أسلوب إلى آخر , فالجملة الخبرية على الأغلب ذات نغمة متوسطة , وصعود النغمة يؤدي بها إلى الانتقال إلى الاستفهام أو أضرب الطلب المتنوعة , وقد تعود النغمة إلى حالات من الهدوء والتوسط حسب الحال والمقام.

تأمل قوله : ((الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير , ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم)) فالنغمة تبدأ وتستمر بخط أفقي مع الجملة الخبرية حتى قوله : { ما يفتح } فتبدأ بالصعود مع أسلوب النفي وهي تتلاءم ومقصود الآية الكريمة ثم تعود النبرة إلى الاستقرار بالخط الأفقي مع التقرير بأن الله هو العزيز الحكيم.

وتأمل أيضاً هذا التنغيم في قوله: ((يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنّى تؤفكون ((

فهو يسير على أنغام متقطعة أربعة:

المقطع الأول : من { يا أيها الناس } إلى قوله : { عليكم } وفيه تذكير بنعم الله على العبيد.

المقطع الثاني : من { هل من خالق } إلى قوله : { والأرض } وفيه تقرير لحقيقتي الخلق والرزق.

المقطع الثالث : قوله : { لا إله إلا هو } نفي وإثبات.

المقطع الرابع : قوله : { فأنى تؤفكون } تعجيب من انصرافهم عن الحق إلى الباطل

,وهكذا ندرك الأثر الجمالي الناشئ عن هذه الحروف في تعانق سياقاتها الصوتية مع سياقات الدلالة في السور التي تقع فيها.
ذلك بعض ما تهيأ لنا من القول عسى أن يكون مفتاح بحث ودراسة للدارسين . ألم يأن للذين أحبوا النظم القرآني وعشقوه أن يفتقوا عن أكمامه الصوتية في رسائلهم العلمية ؟ حرر في 25/ 3/ 1437هـ.

http://eshtar.net/4484/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%88%D8%AA%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%85%D9%81%D8%B1%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D9%85%D9%86%D8%A7%D8%B3/